مابعد البنيوية الرّاهن. ولكنّ هذا الرّبط لن يبدو بحدّ ذاته بعيد المنال لأيّ شخص مارس التعليم خلال الأشهر القليلة الماضية وحاول إقناع طلاّبه بـ"مشروعية" النظرية في قضايا الضمير الأخلاقي والسياسيّ في العالم الحقيقيّ، أو بفكرة أنّ نظريات كهذه يجب أن تمنح على الأقلّ نقطة انطلاق لاحتجاج مدروس ومبدأيّ ضدّ الحرب. على أية حال، تتماشى هذه الأفكار الأخيرة بشكل جاهز مع نزعة مابعد حداثوية لإذعان ساخر و مستبدّ، ولشعور بأنّ الحرب كانت في الواقع **لاحقيقية** ـ تماماً بعيدة عن متناول قدرتنا على الحكم كقرّاء مطّلعين، أو متفرّجين أعضاء في "مجتمع تأويليّ" متخصّص ـ بحيث لن يكون بمقدورنا أن نفعل أو نفكّر بأيّ شيء يمكن أن يكون له تأثيراً ذا بال ويمثّل وسيلة لتحدّي النسخة الرسمية (الواقعة تحت هيمنة وسائل الإعلام) للأحداث. في هذا السياق يجد المرء نفسه مدفوعاً لاستحضار شعور بالشكّ بأنّ معظم ما يُعلّم تحت اسم النظرية الفكرية والأدبية الراديكالية ليس في الواقع سوى خطّ ديماغوجيّ قليل المقاومة، خدعة مخادعة تختلق كلّ أنواع الأعذار و الحجج والفبركات المعقّدة بتعمّد لتجنّب معرفة تورّطها في نشاط التعتيم الأيديولوجيّ.

بالطبع أنا لا أقترح هنا ـ بشكل عبثيّ ـ أنّ هذا نتيجة مباشرة للوقوع المفرط تحت تأثير الأفكار مابعد البنيوية، أو أنّ فهماً أفضل للقضايا الفلسفية سوف يفرز بشكل أوتوماتيكيّ التغيير المطلوب في المواقف. مع هذا، يجب أن يمثّل هذا سبباً لبعض التفكّر الكئيب من جانب بعض مثقّفي اليسار الذين يرون بأنّ "النظرية" (أو معظم ما يُمرّر هذه الأيام كحكمة تنظيرية تقدمية) قد طرحت نفسها وكأنها قليلة الحيلة أو فقيرة التسليح لكي ترتقي إلى أيّ نوع من أنواع المقاومة النقدية الفعّالة، بل هي قادرة فقط على تقديم العون إلى المعتقدات البراغماتية الجديدة المؤسّسة على مبادئ الجماعة والتي تفضي بالنتيجة إلى جعل تلك المقاومة مستحيلةً تماماً. ولن يكون هذا بأيّ حال مدعاة للدهشة، إذا أخذنا بعين الإعتبار نزعتها المهيمنة المضادّة للواقع،